

دورة علمية في علوم الحديث – جامع حي جوهرة مقرين

شرح ثلاثيات البخاري
المجلس الثاني

أ.علي بن أحمد العلايمي

6

الباب الثانى: مباحث حول علم الإسناد.

الفصل الأول: عناية العلماء بالإسناد وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية : وفيه أربعة مباحث.

_ المبحث الأول : تعريف الإسناد.
_ المبحث الثاني : الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية.
_ المبحث الثالث : أهمية الإسناد وعناية العلماء به.
_ المبحث الرابع: أثر عناية العلماء بالإسناد في حفظ السنة النبوية.

المبحث الأول: تعريف الإسناد

الإسناد في اللغة: مصدر أَسْنَدَ. تقول: أَسْنَدَ في الجِبل: صَعِدَ فيه [1] ، معناه ما يُستند عليه ويُعتمد عليه.

والسَّنَدُ لغةً: ما ارتفع عن الأرض من قبل الجبل أو الوادي، وأسند الشيء رفعه.

والإسناد في الرواية: رفع الكلام إلى قائله. ويراد بالإسناد في القراءة بسط أسماء الرجال الذين قرأ عليهم القارئ وأخذ عنهم، إذ لا تقبل رواية" بغير إسناد"

وفي الاصطلاح: وهو سلسلة الرواة الذين ينقلون الحديث أي المتن. وقال بعض العلماء:هو رفع الحديث إلى قائله [2].

---

[1]) انظر: القاموس المحيط: (ص370) ، ولسان العرب: (3/221) .

[2]) المنهل الروي في علوم الحديث النبوي لبدر الدين بن جماعة: (1/81) ، والخلاصة في أصول الحديث للطيبي: (ص33) .

مثال ذلك: قول الإمام البخاري في صحيحه: "**حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يُؤْمِنُ أَحدكُم حتى يُحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لِنفْسِهِ" [3] .

فالمتن قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يُؤْمِنُ أَحدكُم حتى يُحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لِنفْسِهِ ".
والسند هم رواة المتن: مسدد، يحيى، شعبة، قتادة، أنس.
والإسناد هو قول البخاري: حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي [4] .
والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، حيث إن عملية الصعود من أسفل الجبل إلى أعلاه يتطلب التدرج في الصعود شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى أعلاه، وكذلك إسناد الحديث إلى قائله يبدأ الراوي به من شيخه ثم شيخ شيخه ... وهكذا يرتقي من شيخ إلى آخر حتى يصل إلى منتهاه.
والإسناد بهذا المعنى هو المراد بقول بعض العلماء: "الإسناد من الدين" وقولهم: "الإسناد من خصائص هذه الأمة" كما سيأتي في المباحث الآتية.
فائدة: الفرق بين الإسناد والسند
بعض العلماء يقولون: الإسناد مرادف للسند، والبعض الآخر يقولون: بل الإسناد يختلف عن السند، فالسند هو سلسلة الرواة، والإسناد حكاية السند، أي: رواية السند بالتحديث أو بالإخبار أو بالعنعنة، أو بالإجازة أو بالوجادة، أو بغير ذلك من صنوف الرواية أو التحمل والأداء.
فالإسناد هو: تبيين الحال التي روي عليها الحديث، وهل سمعها الراوي الذي رواها أم رواها إجازة؟ والإجازة مثل أن يبعث بكتاب له إلى آخر ويقول له: خذ هذا الكتاب فقد أجزتك أن ترويه عني.
والسند والإسناد في الواقع العملي سواء، وهذا هو الغالب من أقوال أهل العلم، فتجدهم عند الحكم على الحديث يقولون: هذا الحديث سنده صحيح، وأحياناً يقولون: هذا الحديث إسناده ضعيف.

المبحث الثاني: الإسناد من خصائص الأُمة الإسلامية

أكرم الله عز وجل الأُمَّة الإسلامية بخصائص كثيرة، فضلها بها على غيرها من الأمم، قال تعالى:{**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**}[5] .

---

[3]) صحيح البخاري: (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 1/12 رقم 13) .
[4]) انظر: توجيه النظر لطاهر الجزائري: (ص25) ، والإسناد من الدين لأبي غدة: (ص14) .
[5]) آل عمران:110.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى**» [6] .

ومما خص الله عز وجل به هذه الأمة: الإسناد، نقل الثقة، عن الثقة حتى يبلغ به النبي . هذه الخَصيْصة انفردت بها هذه الأمة، وامتازت بها عن غيرها من الأمم.

قال أبو علي الجياني[7]:"خص الله عز وجلّ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب" [8]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "علم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله سُلَّماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأُمَّة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لِمَنْ أعظم الله عليه المِنَّة، أهل الإسلام والسُّنَّة، يُفرقون به بين الصحيح والسقيم، والمُعْوَجِّ والقويم ... " (2) .

قال الزهري: "أيُرقى السطح بلا سلم"[9]، يعني أن الأحاديث بلا إسناد ليس بشيء وإن الإسناد درج المتون به يوصل إليها[10].

قال الشافعي: "مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد مثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري"[11].

وقال يزيد بن زريع: "لكل دين فرسان وفرسان هذه الدين أصحاب الأسانيد"[12].

ومما يوضح ذلك ما قام به العلاَّمة رحمت الله الهندي في كتابه الماتع: "إظهار الحق" حيث عقد فصلاً في بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد.

وقد استعرض جملة من كتبهم بدءاً بالتوراة ومروراً بالأناجيل المشهورة عندهم، في دراسة نقدية دقيقة تقع في (59) صفحة، ختمها بقوله: "فظهر

---

[6]) رواه الإمام أحمد في المسند: (33/219 رقم 20015) ، والترمذي: (5/226 رقم 3001) ، وابن ماجه: (2/1433 رقم 4288) ، وحسنه الترمذي والألباني في صحيح الترمذي (رقم 2399) وصحيح ابن ماجه: (رقم 3461) .

[7]) أبو علي الحسين بن مُحَمَّد بن أحمد الجياني ، ولد سنة (427 هـ) كَانَ إماماً في الْحَدِيْث ، وبصيراً بالعربية والشعر والأنساب ، لَهُ كتب مفيدة مِنْهَا : " تقييد المهمل " ، توفي سنة في(498 هـ)

[8]) التدريب ص (359)

[9] () شرح علل الترمذي:ص (88).

[10] () الكفاية للخطيب البغدادي: ص (557).

[11] () المدخل في أصول الحديث للحاكم: ص (2).

[12] () المصدر السابق: ص (3).

مما ذكـرت للنـاظر اللـبيب أنـه لا يوجـد سـند متصـل عنـدهم لا لكتب العهـد العتيق، ولا لكتب العهد الجديد ... " (3) .

وقد أدرك المسلمون ولله الحمد - منذ الصدر الأول أهميـة الإسـناد، وقَـدَّروا هذه النعمة حق قدرها فعملوا على العناية بالأسانيد، والتزام الرواية بها، وذم من يتساهل بها أو يفرِّط فيها، فعظم النفع بهـا، وأثمـرت تلـك العنايـة ثمـاراً يانعة.

قل مسلم فى مقدمة صحيحه (1) جملة من كلام أهل العلم بسنده عن قيمة الإسناد والنهى عن الرواية عن الضعفاء، وكذلك ابن عبد البر فى بداية التمهيد (2) كثيراً من ذلك عن الصحابة والتابعين حول قيمة هذا الأمر، ومدى الإهتمام به، ومن ذلك:

*** قال أبو هريرة: " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه "**

*** وعن شعيب بن الحبحاب قال غدوت إلى أنس بن مالك، فقال:**

يا شعيب ما غدا بك؟ فقلت: يا أبا حمزة غدوت لأتعلم منك، وألتمس ما ينفعني فقال يا شعيب: إن هذا العلم دين فانظر ممن تأخذه.

وقال النووي فى التقريب: " الإسناد خصيصة لهذه الأمة، وسنة بالغة مؤكدة "

وعن عامر بن سعد أن عقبة بن نافع قال لبنيه، وثبت أيضاً عن صهيب:

" يا بَنيَّ لا تقبلوا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا من ثقة "

*** وقال ابن عون: لا تأخذوا العلم إلا ممن شهد له بالطلب.**

*** وعن ابن سيرين قال: إنما هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه.**
*** وعن سليمان بن موسى قال: لا يؤخذ العلم من صُحُفِي.**
*** وعن المغيرة عن إبراهيم قال: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.**
قال المغيرة: " كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه نظرنا إلى سمته وصلاته ".
*** وقد روى جماعة عن هُشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال:**
" كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى هديه وسمته وصلاته ثم أخذوا عنه ".
*** وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: سألت شعبة وابن المبارك والثوري ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب فقالوا: انشره فانه دين.**
*** وعن حماد بن زيد أنه قال:**
كلمنا شعبة في أن يكف عن أبان ابن أبي عياش لسِنِّهِ وأهل بيته، فقال لي:
" يا أبا إسماعيل لا يحل الكف عنه لأن الأمر دين ".

أهمية الإسناد وفضله

وقال سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل" وقال أيضاً "أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح"[(13)].وكان العرب قبل الإسلام يتداولون الشعر شفاهاً وكتابةً -وكانت فيهم قليلة لكنها معروفة- فيتناقلون القصائد

---

13 () المصدر السابق: ص (3).

الطوال على تقادم الأزمان، فلما جاء الإسلام كان اعتناؤهم بتداول القرآن والسنة أشد[14].وكان المسلمون لا يسألون عن حال الرواة إذا سماهم الراوي الثقة حتى وقعت الفتنة.

قال ابن سيرين رحمه الله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[15].ويتضح من كلام ابن سيرين أن هذه الفتنة قد رافقها ظهور أهل البدع بقوة بحيث أصبحت في العالم الإسلامي فرقتان: أهل السنة والأخرى أهل البدع,فصار الإسناد وسيلة يدافع بها الشخص عن صدقه وينفي مسؤولية الكذب عنه ,ولهذا المنهج السليم الأثر الكبير في الحفاظ على الشريعة وصيانتها بصورة لا تدع مجالاً لطاعن.

وما كان من أهل البدع عندما رُدَّتْ رواياتهم إلا أن حاربوا أهل السنة بكل الوسائل فصاروا يطلقون عليهم ألقاباً وتسميات مختلفة لتشويه صورتهم.

قال ابن أبي حاتم: "سمعت أبي يقول: علامة أهل البدع الوَقعة في أهل الأثر؛ وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية يريدون بذلك إبطال الأثر؛ وعلامة القدرية تسمية أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة، قلت (أي: ابن أبي حاتم) وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث"[16].

قال أبو نصر أحمد بن نصر الفقيه: "ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد
ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بالإسناد"[17].

وهذا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق يناظر رجلاً "قال الشيخ: حدثنا فلان، فقال له الرجل دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا،

---

14 () تحقيق النصوص لعبد السلام هارون: ص (9)، علوم الحديث ومصطلحه: صبحي الصالح: (ص 14-16)، والرواية والأسانيد: ص (30).

15 () مقدمة صحيح مسلم ص (15).

16 () عقيدة السلف وأهل الحديث للصابوني: ص (76).

17 () معرفة علوم الحديث للحاكم: ص (4).

فقال له الشيخ: قم يا كافر ولا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا، ثم التفت إلينا فقال: ما قلت لأحد لا تدخل داري إلا هذا"[18].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني: "وعلم الإسناد والرواية مما خصه الله به أمة محمد وجعله سلماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأئمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنّة أهل الإسلام والسنة يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج والمقيم. وغيرهم من أهل البدع والكفار، إنما عندهم نقولات يأثرونها بغير إسناد وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالي من العاطل. وأما هذه الأمة المرحومة وأصحاب هذه الأمة المعصومة فإن أهل العلم منهم والدين هم من أمرهم على يقين، فظهر لهم الصدق من المين كما يظهر الصبح لذي عينين"[19].

وفي أزماننا ونظراً لما خلفه استعمار الأجانب للبلاد الإسلامية هُجرت المدارس الدينية وظلت حلقات العلم في المساجد محدودة ومعدودة في بعض البلدان.

قال ابن العربي: "والله أكرم هذه الأمة بالإسناد، لم يعطه أحد غيرها فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى فتحدثوا بغير إسناد فتكونوا سالبين نعمة الله عن أنفسكم مطرِّقين للتهمة إليكم خافضين لمنْزلتكم ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم وراكبين لسنتهم"[20].

قال الشاه ولي الله الدهلوي: "فائدةُ حفظ الإسناد بقاء الشريعة المحمدية (على صاحبها الصلوات والتسليمات) المشتملة على سعادة الدارين وذلك ظاهر لمن تأمل، فإنا لم نشاهد النبي ولم نسمع منه بلا واسطة ولم تصل أحاديثه إلا بالوسائط سواءً كان هذا الوصل من جهة انتساخ النسخ من

---

18 () المصدر السابق.

19 () مجموعة الفتاوى: 1/9.ومما يؤكد كلام شيخ الإسلام في "ان المبتدعة ليس لهم إسناد" قول العلامة الملا محمد جلي زاده في كتابه المصقول في علم الأصول (**تنبيه:** حيث اعتبر الأهلية في الإفتاء فلا أهل للإفتاء في الأقطار الكردية، إذ لا سند لهم وللعرب الحجازية والمصرية زيادة اعتناء بالأخذ من العلماء لكن تلاميذنا يشتغلون بأنواع العلوم ويعتمدون في الفقه على قوتهم العملية، لكن المعتنى به السند وهو مفقود) ص (171) وقد رأينا أكثر علماء الأكراد يهتمون بالمنطق والأصول والكلام ولا يدرسون القرآن والحديث.

20 () نقله عنه عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس 1/80.

مثلها أو من استماع حديث من مخبره ونحو ذلك، وهذه كلها أنواع الإسناد فلو لم يكن الإسناد أصلاً لم تبق الشريعة"[21].قال ابن خير الإشبيلي: "أجمع العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: (قال النبي ﷺ كذا...) حتى يكون عنده ذلك القول مروياً ولو على أقل وجوه الرواية"[22].ويكفي الراوي شرفاً أن يتصل اسمه وينتظم مع اسم النبي ﷺ في سلسلة واحدة، فالعجب من مسلم ينكر الرواية بالإسناد وهو النور الذي يُهتدى به.

وفي فهرس الفهارس: "كلما كان السند أعلى كان الراوي أقرب إلى النبي ﷺ وكان له حصة من الخيرية التي أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله: ((خيركم أو خير الناس قرني، ثم الذين يلونونهم، ثم الذين يلونونهم)) أخرجه الشيخان وغيرهما، ولهذا ثابر العلماء من أئمة الحديث على علوّ الإسناد، رحلوا عن أوطانهم للأخذ عن علماء الحديث... رجاء أن يشملهم دعاؤه ﷺ حيث قال: ((نضرّ الله امرؤا سمع مقالتي فأدّاها كما سمعها))أ.هـ[23].

قال إبراهيم ابن أدهم: "إن الله ليرحم هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث"[24].

وقال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله:

ما لذتي إلا رواية   قد قيدت بفصاحة [illegible]
مجالس فيها عليّ   من ربهم برعاية [illegible]
لاظَوا برب العرش [illegible]   أن الجنان لعصبة [illegible][25]

قال عبد الحي الكتاني[26]:

بِقلائد الإسناد [illegible]   وبقرطه متقرطاً [illegible]

قال العلامة مرتضى الزبيدي: "ثبت عند أهل هذا الفن أنه لا يتصدى لإقراء كتب أهل السنة والحديث قراءة دراية وتبرك

---

21 () الإرشاد: ص (21).
22 () فهرسة ما رواه عن شيوخه محمد بن خير الأشبيلي: ص (16-17) وينظر: فهرس الفهارس 1/82.
23 () المجمع المؤسس: 1/44.
24 () تدريب الراوي: 2/144.
25 () ينظر: الإلماع ص 42.
26 () فهرس الفهارس: 2/833.

ورواية إلا من أخذ أسانيد تلك الكتب من أهلها ممن أتقن درايتها وروايتها ورحل إلى البلدان فظفر بعوالي المرويات وباحث الأقران فأحاط بمدارك الدرايات وجلس بمجالس الإملاءات على الركب وتردد إلى المشايخ بالخضوع والأدب، وهذا الآن أقل من القليل"

قال ابن رحمون: "كان من سنة علماء الحديث طلب الإجازة في القديم والحديث حرصاً على بقاء الإسناد ومحافظة على الشريعة، وهي التي نسيت في هذه الأعصار، وأهملوا السند والإجازة وحسبوا أن العلم بمجرد التدريس والحيازة"([27])

أسباب نشأة الإسناد وظهور علم الجرح والتعديل

باسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.
وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
كان منشأ ومبدأ ظهور البدع والفرق أحد العوامل والأسباب والدوافع على ظهور الوضع في الحديث؛ لأجل نصر البدعة والهوى، وهذا شأن أصحاب البدع في كل زمان ومكان، فهم يختلقون ويصطنعون الكلام المزين ظاهراً والمزيف باطناً لأجل نصرة بدعتهم وهواهم.
وأصحاب الحديث والرواية قبل ظهور الفتن والبدع لم يكونوا يسألون عن الأسانيد، بل ولا يروون الحديث بإسناده، فلما ظهرت الفتن وظهر ما ظهر قالوا: سموا لنا رجالكم، وكما

---

[27] () فهرس الفهارس 1/81-82.

يقول ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما ظهرت الفتن قلنا لهم: سمّوا رجالكم، فمن كان من أهل السنة أخذنا حديثه، ومن كان من أهل الأهواء والبدع طرحنا حديثه.

وكان هذا هو بداية نشأة علم الجرح والتعديل.

فبداية نشأة علم الجرح والتعديل كان بظهور الفتن، وقد حث علماء الصحابة الناس على الاحتياط في حمل الحديث عن الرواة، وألا يأخذوا إلا حديث من يوثق به ديناً وحفظاً، والمقصود بالدين هنا العدالة، والمقصود بالحفظ الإتقان والضبط.

وشاع في عرف الناس هذه القاعدة: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم.

وهذا ثبت من قول عبد الله بن المبارك رحمه الله.

وروي مثل هذا القول عن مالك وغيره.

المقصود بثلاثيات البخاري

وَالْمَقْصُوْدُ بِثَلاثِّيَاتِ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ الْلَّهُ - هِيَ الْأَحَادِيْثُ الَّتِيْ يَكُوْنُ بَيْنَ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ وَبَيْنَ الْنَّبِيِّ صَلَّىَ الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ أَشْخَاصٍ وَهَذِهِ الثُّلَاثِيَّاتِ أَعْلَىَ مَا فِيْ صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ إِسْنَادا .

وَكَمَا لَا يَخْفَاكُمْ أَنَّ الْإِسْنَادَ الْعَالِيَ فِيْهِ مَيِّزّةِ الْقُرَبِ مِنْ الْنَّبِيِّ صَلَّىَ الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: «طلب إسناد العلو من السنة».[28]

---

[28] رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (1/ 123).

وقال -أيضًا-: «طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف»[29]

وقال محمد بن أسلم الطوسي: «قرب الإسناد قرب أو قربة إلى اللَّه -تعالى-».[30]

وقال الحاكم أبو عبداللَّه محمد بن عبداللَّه النيسابوري: «طلب الإسناد العالي سنة صحيحة»[31]

فصل

في معنى العلو في الاسنادوفضله وأقسامه

معنى الاسناد العالى لغة":العالي اسم فاعل من "العُلُوّ" ضد النزول ، النازل اسم فاعل من "النزول".

معنى الاسناد العالى اصطلاحا":

الْاسْنَادِ الْعَالِيَ:هُوَ الَّذِيْ قَلَّ عَدَدُ رِجَالُهُ بِالْنِّسْبَةِ الَىَّ سَنَدَ آَخَرَ يَجِيْءُ بِهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَدَدٍ أَكْثَرَ.

وضده الْاسْنَادِ الْنَّازِلِ:وهُوَ الَّذِيْ كَثُرَ عَدَدُ رِجَالُهُ بِالْنِّسْبَةِ الَىَّ سَنَدَ آَخَرَ يَجِيْءُ بِهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ بِعَدَدٍ أَقَلَّ.

قَالَ نَاظِمُ الْبَيْقُوْنِيُّ رَحِمَهُ الْلَّهُ:
وَكُلُّ مَا قُلْتُ رِجَالُهُ عَلَا ** وَضِدَّهُ ذَاكَ الَّذِيْ قَدْ نَزَلَا

مِثَالُ:

لَوْ انَّكِ قَابَلْتُ عَبْدِ الْرَّحْمَنِ فَحَدِّثّكِ عَنْ حَاتِمِ عَنْ الْشَيْخُ وَحِيْدُ,ثُمَّ مَا لَبِثَتْ انّ قَابَلْتُ حَاتِمٍ فَحَدِّثّكِ عَنْ الْشَيْخُ وَحِيْدُ مُبَاشَرَةً ..فَالأَوَّلُ يُسَمَّىْ اسْنَادِ نَازِلٌ لِانَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْشَّيْخُ وَحِيْدُ واسْتُطِينَ وَالْثَّانِىَ اسْنَادِ عَالِىَ لِانَّهُ بَيْنَكَوَبَيْنَهُ وَاسِطَةٍ وَاحِدَةِ فَقَطْ وَهُوَ حَاتِمُ ..

---

[29] المصدر السابق، وانظر: «فتح المغيث» (3/ 4)، و«التقييد والإيضاح» (ص 216).
[30] رواه الخطيب في «الجامع» (1/ 123)، وانظر: «قواعد التحديث» (ص 186).
[31] معرفة علوم الحديث» (ص 6).

مِثَالُهُمَا مِنْ كُتُبِ الْسُّنَّةِ : مَاأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِيْ صَحِيْحِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ : قَرَأْتُ أَنَّهُτعَلَى مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الْلَّهِ بْنِ دِيْنَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : " كَانَ رَسُوْلُ الْلَّهِ صَلَّى الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ ".

قُلْتُ : عَدَدِ رُوَاةِ الْسَّنَدِ أَرْبَعَةٌ رُوَاةِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنَاهُ أَبُوْ بَكْرِ بْنُ أَبِيْ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُوْ خَالِدٍ الْأَحْمَرُ عَنْ عُبَيْدِ الْلَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ " أَنَّ الْنَّبِيَّ صَلَّى الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّيَ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ " .

قُلْتُ : عَدَدِ رُوَاةِ الْسَّنَدِ خَمْسَةٌ رُوَاةِ .

إِذَنْ الْسَّنَدِ الْأَوَّلِ هُوَ الْعَالِيَ ، وَالْسَّنَدُ الْثَّانِيَ هُوَ الْنَّازِلُ ,فَالْعُلُوِّ وَالْنُّزُوْلِ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ. بِمَعْنَىً كُلَّمَا قَلَّ عَدَدُ الْرُّوَاةِ فِيْ الاسْنَادِ (بَيْنَ الْمُصَنِّفُ وَبَيْنَ الْصَّحَابِيِّ اوْ الْرَّسُوْلِ صَلَّىَ الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ الْسَّنَدُ عَالِيَا بِسَبَبِ انّ احْتِمَالِ الْخَطَأِ فِيْهِ أَقَلّ. بَيْنَمَا اذَا كَانَ عَدَدُ رِجَالِ الاسْنَادِ كَثِيْرٍ كَانَ احْتِمَالَ الْخَطَأِ اكْبَرُ..

فضيلة الإسناد العالي :

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدُاللَّهِ الْطِّيْبِيُّ: «الْإِسْنَادِ خِصِّيْصَة مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسُنَّةِ مِنْ الْسُّنَنِ الْبَالِغَةُ، وَطَلَبُ الْعُلُوِّ فِيْهِ سُنَّةٌ -أَيْضا-، وَلِذَلِكَ اسْتُحِبَّتْ الرِّحْلَةِ وَعُلُوِّهِ بِبُعْدٍ مِنْ الْخَلَلِ وَالمُتَطُرّقَ إِلَىَ كُلِّ رَاوٍ»[32]أ.هـ

يَقُوْلُ ابْنُ الْصَّلاحِ رَحِمَهُ الْلَّهُ فِيْ مُقَدِّمَتِهِ[33] :الْنَّوْعُ الْتَّاسِعُ وَالْعِشْرُوْنَ مَعْرِفَةُ الْإِسْنَادِ الْعَالِيَ وَالْنَّازِلِ.......أَصْلِ الْإِسْنَادِ أَوَّلَا: خِصِّيْصَة فَاضِلَةٌ مَنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسُنَّةِ بَالِغَةٌ مِنْ الْسُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ.

رُوِّيْنَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ (عَبْدِ الْلَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ) رَضِيَ الْلَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْإِسْنَادِ مِنَ الْدِّيْنِ، لَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ.[34]

---

[32] «الخلاصة في أصول الحديث» (ص 53).

[33] مقدمة ابن الصلاح 1/115...ويعد هذا الكتاب أشهر كتاب في علم مصطلح الحديث على الإطلاق ذكر فيه ابن الصلاح (65) نوعًا من علوم الحديث ، وقد قال عنه ابن حجر فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره فلهذا عكف الناس عليه وساروا بسيره ، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ، ومستدرك عليه ومقتصر ، ومعارض له ومنتصر>ا.هـ

[34] انظر صحيح مسلم 1 / 15 والمدخل في اصول الحديث ص2 للحاكم.

وَطَلَبُ الْعُلُوِّ فِيْهِ سُنَّةٌ أَيْضا وَلِذَلِكَ اسْتُحِبَّتْ الرِّحْلَةِ فِيْهِ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ,قَالَ (أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ) رَضِيَ الْلَّهُ عَنْهُ: طُلِبَ الْإِسْنَادِ الْعَالِيَ سُنَّةٌ عَمَّنْ سَلَفَ.

وَقَدْ رُوِّيْنَا: أَنَّ (يَحْيَى بْنُ مَعِيْنٍ) رَضِيَ الْلَّهُ عَنْهُ قِيَلَ لَهُ فِيْ مَرِضِهِ الَّذِيْ مَاتَ فِيْهِ: مَا تَشْتَهِيْ ؟ قَالَ: بَيْتِ خَالِي وَإِسْنَادٌ عَالِيْ.

قُلْتُ: الْعُلُوِّ يُبْعِدُ الْإِسْنَادِ مِنَ الْخَلَلِ، لِأَنَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَقَعَ الْخَلَلِ مِنَ جِهَتِهِ سَهْوَا أَوْ عَمْدَا فَفِيْ قِلَّتِهِمْ قِلَّةِ جِهَاتٍ الْخَلَلِ، وَفِيْ كَثْرَتِهِمْ كَثْرَةِ جِهَاتٍ الْخَلَلِ، وَهَذَا جَلِيٌّ وَاضِحٌ.أ.هـ

وجَاءَفِيْ الْبَاعِثُ الْحَثِيْثُ: وَلَمَّا كَانَ الْإِسْنَادُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ أُمَّةً مِّنَ الْأُمَمِ يُمْكِنُهَا أَنْ تُسْنِدَ عَنْ نَبِيِّهَا إِسْنَادِا مُتَّصِلَا غَيَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَلِهَذَا كَانَ طَلَبُ الْإِسْنَادِ الْعَالِيَ مُرَغِّبَا فِيْهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنِ حَنْبَلٍ: الْإِسْنَادِ سَنَةً عَمَّنْ سَلَفَ.
وَقِيْلَ لِيَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ فِيْ مَرَضِ مَوْتِهِ: مَا تَشْتَهِيْ؟ قَالَ: بَيْتِ خَالِيِ، وَإِسْنَادُ عَالِيْ.
وَلِهَذَا تَدَاعَتْ رَغَبَاتُ كَثِيْرٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْنُّقَّادِ، وَالْجَهَابِذَةِ الْحُفَّاظِ، إِلَىَ الْرِّحْلَةِ إِلَىَ أَقْطَابِ الْبِلَادِ، طَلَبَا لِعُلُوِّ الْإِسْنَادِ. وَإِنْ كَانَ قَدْ مَنَعَ مِنْ جَوَازِ الْرِّحْلَةِ بَعْضُ الْجَهَلَةِ مِنَ الْعُبَّادِ، فِيْمَا حَكَاهُ الْرَّامَهُرْمُزِيّ فِيْ كِتَابِهِ الْفَاصِلِ.

ثُمَّ إِنَّ عُلُوَّ الْإِسْنَادِ أَبْعَدُ مِنَ الْخَطَأِ وَالْعِلَّةِ مِنْ نُزُوْلِهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِيْنَ: كُلَّمَا طَالَ الْإِسْنَادُ كَانَ النَّظَرُ فِيْ الْتَّرَاجِمِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ أَكْثَرَ فَيَكُوْنُ الْأَجْرُ عَلَىَ قَدْرِ الْمَشَقَّةِ. وَهَذَا لَا يُقَابِلُ مَا ذَكَرْنَاهُ وَالْلَّهُ أَعْلَمُ.

أقسام العلو:

**يَقُوْلُ ابْنُ الْصَّلاحِ رَحِمَهُ الْلَّهُ : ثُمَّ إِنَّ الْعُلُوَّ الْمَطَلُوْبَ فِيْ رِوَايَةِ الْحَدِيْثِ عَلَىَ أَقْسَامٍ خَمْسَةٌ:

أَوَّلُهَا: الْقُرَبِ مِنْ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِسْنَادٍ نَظِيْفٌ غَيْرَ ضَعِيْفٌ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ. وَقَدْ رُوِّيْنَا عَنْ (مُحَمَّدٍ بْنِ أَسْلَمَ الْطُّوْسِيِّ) الْزَّاهِدُ الْعَالِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُرْبَ الْإِسْنَادِ قُرْبٌ أَوْ قُرْبَةٌ إِلَىَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا كَمَا قَالَ، لِأَنَّ قُرْبَ الْإِسْنَادِ قُرْبٌ إِلَىَ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَالْقُرْبُ إِلَيْهِ قُرْبٌ إِلَىَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الْثَّانِيَ: وَهُوَ الَّذِيْ ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ (أَبُوْ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ): الْقُرَبِ مِنْ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيْثِ، وَإِنْ كَثُرَ الْعَدَدُ مِنْ ذَلِكَ الْإِمَامَ إِلَىَ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فَإِذَا وُجِدَ ذَلِكَ فِيْ إِسْنَادِ وَصَفَ بِالْعُلُوِّ، نَظِرَا إِلَيَ قُرْبِهِ مِنْ ذَلِكَ الْإِمَامَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِيَا بِالْنِّسْبَةِ إِلَىَ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَكَلَامُ الْحَاكِمُ يُوْهِمُ أَنَّ الْقُرْبَ مِنْ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يُعَدُّ مِنَ الْعُلُوِّ الْمَطْلُوْبِ أَصْلَا,وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ قَائِلِهِ، لِأَنَّ الْقُرَبَ مِنْهُ -صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِسْنَادٍ نَظِيْفٌ غَيْرَ ضَعِيْفٌ أَوْلَىٍ بِذَلِكَ.

وَلَا يُنَازِعُ فِيْ هَذَا مَنْ لَهُ مِسْكٌ مِنْ مَعْرِفَةِ، وَكَأَنَّ الْحَاكِمُ أَرَادَ بِكَلَامِهِ ذَلِكَ إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ لِلْإِسْنَادِ بِقُرْبِهِ مِنْ إِمَامٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَرِيْبَا إِلَىَ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَالْإِنْكَارَ عَلَيَ مَنْ يُرَاعِيَ فِيْ ذَلِكَ مُجَرَّدُ قُرْبَ الْإِسْنَادِ إِلَىَ رَسُوْلِ اللَّهِ - صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_وَإِنْ كَانَ إِسْنَادِا ضَعِيْفَا،وَلِهَذَامِثْلَ ذَلِكَ بِحَدِيْثِ (أَبِيْ هُدْبَةُ)،وَ(دِيْنَارٍ)،وَ(الْأَشَجِّ)،وَأَشْبَاهِهِمْ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ.الْثَّالِثُ:الْعُلُوِّ بِالْنِّسْبَةِ إِلَىَ رِوَايَةِ الْصَّحِيْحَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا، أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْرُوْفَةِ الْمُعْتَمَدَةِ، وَذَلِكَ مَا اشْتُهِرَ آَخِرَا مِنْ الْمُوَافَقَاتِ، وَالْأَبْدَالُ، وَالْمُسَاوَاةُ، وَالْمُصَافَحَةِ. وَقَدْ كَثُرَ اعْتِنَاءِ الْمُحَدِّثِيْنَ الْمُتَأَخِّرِيَنَ بِهَذَا الْنَّوْعِ. وَمِمَّنْ وُجِدَتْ هَذَا الْنَّوْعِ فِيْ كَلَامِهِ (أَبُوْ بَكْرِ الْخَطِيْبُ الْحَافِظُ) وَبَعْضُ شُيُوْخِهِ، وَ(أَبُوْ نَصْرِ بْنُ مَاكُوْلَا)، وَ(أَبُوْ عَبْدِ اللَّهِ الْحُمَيْدِيُّ)، وَغَيْرِهِمْ مِنْ طَبَقَتِهِمْ وَمِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

أَمَّا الْمُوَافَقَةِ: فَهِيَ أَنْ يَقَعَ لَكَ الْحَدِيْثَ عَنْ شَيْخِ مُسْلِمُ فِيْهِ - مَثَلَا - عَالِيَا، بِعَدَدِ أَقَلْ مِنْ الْعَدَد الَّذِيْ يَقَعُ لَكَ بِهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ الْشَّيْخُ إِذَا رَوَّيْتُهُ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْبَدَلِ: فَمِثْلُ أَنْ يَقَعَ لَكِ هَذَا الْعُلُوِّ عَنْ شَيْخٌ غَيْرَ شَيْخٍ مُسْلِمٍ، هُوَ مِثْلُ شَيْخُ مُسْلِمٍ فِيْ ذَلِكَ الْحَدِيْثِ.

وَقَدْ يَرِدُ الْبَدَلِ إِلَىَ الْمُوَافَقَةِ، فَيُقَالُ فِيْمَا ذَكَرْنَاهُ: إِنَّهُ مُوَافَقَةِ عَالِيَةٍ فِيْ شَيْخِ شَيْخِ مُسْلِمٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَالِيَا فَهُوَ أَيْضا مُوَافَقَةِ وَبَدَلُ، لَكِنْ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمُوَافَقَةِ وَالْبَدَلُ لِعَدَمِ الالْتِفَاتِ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الْمُسَاوَاةِ: فَهِيَ - فِيْ أَعْصَارِنَا - أَنَّ يَقُلْ الْعَدَدِ فِيْ إِسْنَادِكَ لَا إِلَىَ شَيْخِ مُسْلِمٍ وَأَمْثَالِهِ، وَلَا إِلَىَ شَيْخِ شَيْخِهِ، بَلْ إِلَىَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، كَالْصَّحَابِيِّ، أَوْ مَنْ قَاربّهُ، وَرُبَّمَا كَانَ إِلَىَ رَسُوْلِ الْلَّهِ - صَلَّىَ الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَيْثُ يَقَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْصَّحَابِيِّ - مَثَلا - مِنْ الْعَدَدِ مِثْلَ مَا وَقَعَ مِنْ الْعَدَدِ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْصَّحَابِيِّ، فَتَكُوْنَ بِذَلِكَ مُسَاوِيَا لِمُسْلِمٍ مَثَلا فِيْ قِرَبِ الْإِسْنَادِ وَعَدَدَ رِجَالُهُ.

وَأَمَّا الْمُصَافَحَةُ: فَهِيَ أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْمُسَاوَاةُ الَّتِيْ وَصَفْنَاهَا لِشَيْخِكَ لَا لَكَ، فَيَقَعُ ذَلِكَ لَكَ مُصَافَحَةٍ، إِذْ تَكُوْنُ كَأَنَّكَ لَقِيْتُ مُسْلِمَا فِيْ ذَلِكَ الْحَدِيْثِ وَصَافَحْتَهُ بِهِ لِكَوْنِكِ قَدْ لَقِيْتُ شَيْخُكَ الْمُسَاوِيَ لِمُسْلِمٍ.

فَإِنْ كَانَتْ الْمُسَاوَاةِ لِشَيْخِ شَيْخُكَ كَانَتْ الْمُصَافَحَةُ لِشَيْخِكَ، فَتَقُوْلُ: كَأَنَّ شَيْخِيْ سَمِعَ مُسْلِمَا وَصَافَحَهُ,وَإِنْ كَانَتْ الْمُسَاوَاةِ لِشَيْخِ شَيْخٌ شَيْخُكَ فَالْمُصَافِحّةً لِشَيْخِ شَيْخُكَ، فَتَقُوْلُ فِيْهَا: كَأَنَّ شَيْخُ شَيْخِيْ سَمِعَ مُسْلِمَا وَصَافَحَهُ. وَلَكَ أَنْ لَا تَذْكُرَ لَكَ فِيْ ذَلِكَ نِسْبَةُ، بَلْ تَقُوْلُ: كَأَنَّ فُلَانا سَمِعَهُ مِنْ مُسْلِمٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقُوْلَ فِيْهِ(شَيْخِيْ) أَوْ (شَيْخُ شَيْخِيْ).

ثُمَّ لَا يَخْفَىَ عَلَىَ الْمُتَأَمِّلِ: أَنِ فِيْ الْمُسَاوَاةِ وَالْمُصَافَحَةِ الْوَاقِعَتَيْنِ لَكَ لَا يَلْتَقِيَ إِسْنَادُكَ وَإِسْنَادُ مُسْلِمٍ - أَوْ نَحْوَهُ - إِلَا بَعِيْدَا عَنْ شَيْخِ مُسْلِمٍ، فَيَلْتَقِيَانِ فِيْ الْصَّحَابِيِّ أَوْ قَرِيْبَا مِنْهُ. فَإِنْ كَانَتْ الْمُصَافَحَةُ الَّتِيْ تَذْكَّرَهَا لَيْسَتْ لَكَ، بَلْ لِمَنْ فَوْقَكَ مِنَ رِجَالٌ إِسْنَادُكَ، أَمْكَنَ الْتِقَاءِ الْإِسْنَادَيْنِ فِيْهَا فِيْ شَيْخِ مُسْلِمٍ أَوْ أَشْبَاهِهِ، وَداخَلتُ الْمُصَافَحَةُ حِيْنَئِذٍ الْمُوَافَقَةِ، فَإِنَّ مَعْنَىً الْمُوَافَقَةِ رَاجِعٌ إِلَىَ مُسَاوَاةِ وَمُصَافَحَةٍ مَخْصُوْصَةٍ، إِذْ (153) حَاصِلُهَا: أَنَّ بَعْضَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ رُوَاةِ إِسْنَادُكَ الْعَالِيَ سَاوَىْ أَوْ

صَافِحٌ مُسَلَّمَا أَوْ الْبُخَارِيُّ، لِكَوْنِهِ سَمِعَ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْ شَيْخِهِمَا، مَعَ تَأَخُّرِ طَبَقَتِهِ عَنْ طَبَقَتِهِمَا.

وَيُوْجَدُ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ الْعَوَالِيَ الْمُخْرِجَةِ لِمَنْ تَكَلَّمَ أَوَّلَا فِيْ هَذَا النَّوْعِ وَطَبَقَتِهِمْ الْمُصَافَحَاتِ مَعَ الْمُوَافَقَاتِ وَالْأَبْدَالُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ: أَنِ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْعُلُوِّ عُلُوّ تَابِعَ لِنُزُولِ، إِذْ لَوْلَا نُزُوْلُ ذَلِكَ الْإِمَامُ فِيْ إِسْنَادِهِ لَمْ تَعْلُ أَنْتَ فِيْ إِسْنَادِكَ. وَكُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ بِمَرْوَ عَلَىَ شَيْخِنَا الْمُكْثِرِ (أَبِيْ الْمُظَّفَرِ عَبْدِ الرَّحِيْمِ بْنِ الْحَافِظِ) الْمُصَنِّفُ (أَبِيْ سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ) رَحِمَهُمَا الْلَّهُ، فِيْ أَرْبَعِيَّ(أَبِيْ الْبَرَكَاتِ الْفُرَاوِيُّ) حَدِيْثا ادَّعَى فِيْهِ أَنَّهُ كَأَنَّهُ سَمِعَهُ هُوَ أَوْ شَيْخِهِ مِنْ (الْبُخَارِيُّ)، فَقَالَ الْشَّيْخُ (أَبُوْ الْمُظَفَّرِ): لَيْسَ لَكَ بِعَالٍ، وَلَكِنَّهُ (لِلْبُخَارِيِّ) نَازِلٌ. وَهَذَا حَسَنٌ لَطِيْفٌ، يُخْدَشَ وَجَهُ هَذَا الْنَّوْعُ مِنَ الْعُلُوِّ، وَالْلَّهُ أَعْلَمُ.

الْرَّابِعُ: مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ : الْعُلُوِّ الْمُسْتَفَادِ مِنَ تَقَدَّمَ وَفَاةِ الْرَّاوِيَ.

مِثَالُهُ (مَا أَرْوِيْهِ عَنْ شَيْخٍ، أَخْبَرَنِيْ بِهِ عَنْ وَاحِدٍ، عَنْ الْبَيْهَقِيّ الْحَافِظُ، عَنْ الْحَاكِمُ أَبِيْ عَبْدِ الْلَّهِ الْحَافِظُ) أَعْلَىَ مِنْ رُوَايَتِيْ لِذَلِكَ (عَنْ شَيْخٍ، أَخْبَرَنِيْ بِهِ عَنْ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِيْ بَكْرِ بْنِ خَلَفٍ، عَنِ الْحَاكِمِ) وَإِنْ تَسَاوَى الْإِسْنَادَانِ فِيْ الْعَدَدِ، لِتَقَدُّمِ وَفَاةِ الْبَيْهَقِيُّ عَلَىَ وَفَاةِ ابْنُ خَلَفٍ، لِأَنَّ(الْبَيْهَقِيُّ) مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَاتَ (ابْنُ خَلَفٍ) سُنَّةَ سَبْعَ وَثَمَانِيْنَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

رُوِّيْنَا عَنْ (أَبِيْ يَعْلَىَ الْخَلِيْلِ بْنِ عَبْدِ الْلَّهِ الْخَلِيْلِيُّ) الْحَافِظُ رَحِمَهُ الْلَّهُ قَالَ: قَدْ يَكُوْنُ الْإِسْنَادِ يَعْلُوَ عَلَىَ غَيْرِهِ بِتَقَدِّمِ مَوْتِ رَاوِيْهِ، وَإِنْ كَانَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِيْ الْعَدَدِ. وَمَثَّلَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيْثٌ نَفْسِهِ بِمِثْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا كَلَامٌ فِيْ الْعُلُوِّ الْمَبْنِيِّ عَلَىَ تَقَدُّمِ الْوَفَاةُ، الْمُسْتَفَادُ مِنْ نِسْبَةِ شَيْخٌ إِلَىَ شَيْخٍ، وَقِيَاسُ رَاوٍ بِرَاوٍ.

أَمَّا الْعُلُوُّ الْمُسْتَفَادُ مِنْ مُجَرَّدِ تَقَدَّمَ وَفَاةِ شَيْخُكَ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَىَ قِيَاسُهُ بِرَاوٍ آَخَرَ، فَقَدْ حَدَّهُ بَعْضُ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ بِخَمْسِيْنَ سَنَةً. وَذَلِكَ مَا رُوِّيْنَاهُ عَنْ أَبِيْ عَلِيٍّ(154) الْحَافِظُ الْنَّيْسَابُوْرِيُّ قَالَ: سُمِعَتْ (أَحْمَدُ بْنُ عُمَيْرِ الْدِّمَشْقِيُّ) - وَكَانَ مِنْ أَرْكَانِ الْحَدِيْثِ - يَقُوْلُ: إِسْنَادٌ خَمْسِيْنَ سَنَةً مِنَ مَوْتُ الْشَّيْخِ إِسْنَادٌ عُلُوّ.

وَفِيْمَا نَرْوِيْ عَنْ (أَبِيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَهْ الْحَافِظَ) قَالَ: إِذَا مَرَّ عَلَىَ الْإِسْنَادِ ثَلَاثُوْنَ سَنَةً فَهُوَ عَالٍ. وَهَذَا أَوْسَعُ مِنْ الْأَوَّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْخَامِسُ: الْعُلُوِّ الْمُسْتَفَادِ مِنَ تَقَدَّمَ الْسَّمَاعِ.

أُنْبِئْنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الْحَافِظُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ الْحَافِظُ قَالَ: مِنْ الْعُلُوِّ نُقَدِّمُ الْسَّمَاعِ.

قُلْتُ: وَكَثِيْرٌ مِّنَ هَذَا يَدْخُلُ فِيْ الْنَّوْعِ الْمَذْكُوْرُ قَبْلَهُ، وَفِيْهِ مَا لَا يَدْخُلُ فِيْ ذَلِكَ، بَلْ يَمْتَازُ عَنْهُ. مِثْلَ أَنْ يَسْمَعَ شَخْصَانِ مِنْ شَيْخٍ وَاحِدٍ، وَسَمَاعِ أَحَدُهُمَا مِنْ سِتِّيْنَ سَنَةً مَثَلا وَسَمَاعِ الْآخِرِ مِنْ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً. فَإِذَا تَسَاوَى الْسَّنَدِ إِلَيْهِمَا فِيْ الْعَدَدِ: فَالْإِسْنَادُ إِلَىَ الْأَوَّلِ الَّذِيْ تَقَدَّمَ سَمَاعِهِ أَعْلَىَ.

فَهَذِهِ أَنْوَاعُ الْعُلُوِّ عَلَىَ الِاسْتِقْصَاء وَالْإِيْضَاحِ الْشَّافِيْ، وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ الْحَمْدُ كُلُّهُ.

وَأَمَّا مَا رُوِّيْنَاهُ عَنْ (الْحَافِظُ أَبِيْ الْطَّاهِرِ السِّلَفِيِّ) - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ قَوْلِهِ فِيْ أَبْيَاتِ لَهُ: بَلْ عُلُوّ الْحَدِيْثِ بَيْنَ أُوْلِيْ الْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ صِحَّةِ الْإِسْنَادِ

وَمَا رُوِّيْنَاهُ عَنْ(الْوَزِيْرِ نِظَامِ الْمُلْكِ) مِنْ قَوْلِهِ:عِنْدِيْ أَنَّ الْحَدِيْثَ الْعَالِيَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُوْلِ الْلَّهِ - صَلَّىَ الْلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِنْ بَلَغَتْ رُوَاتُهُ مِائَةَ. فَهَذَا وَنَحْوُهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيْلِ الْعُلُوِّ الْمُتَعَارَفِ إِطْلَاقِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيْثِ، وَإِنَّمَا هُوَ عُلُوٌّ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَىْ فَحَسْبُ، وَالْلَّهُ أَعْلَمُ.

(فَصَلِّ) وَأَمَّا الْنُّزُوْلُ فَهُوَ ضِدُّ الْعُلُوِّ. وَمَا مِنْ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ الْعُلَوِّ الْخَمْسَةُ إِلَّا وَضِدُّهُ قَسَمَ مِنْ أَقْسَامِ الْنُّزُوْلِ. فَهُوَ إِذَا خَمْسَةٌ أَقْسَامِ، وَتَفْصِيْلِهَا يُدْرِكُ مِنْ تَفْصِيْلِ أَقْسَامِ الْعُلَوِّ عَلَىَ نِحْوِ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ (الْحَاكِمُ أَبِيْ عَبْدِ اللَّهِ): لَعَلَّ قَائِلا يَقُوْلُ، الْنُّزُوْلِ ضِدَّ الْعُلْوُ، فَمَنْ عَرَفَ الْعُلُوِّ فَقَدْ عَرَفَ ضِدَّهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ لِلْنُّزُوْلِ مَرَاتِبِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَهْلُ الصَّنْعَةِ... إِلَىَ آَخِرِ كَلَامِهِ، فَهَذَا لَيْسَ نَفْيَا لِكَوْنِ الْنُّزُوْلِ ضِدّا لِلْعُلُوِّ عَلَىَ الْوَجْهِ (155) الَّذِيْ ذَكَرْتُهُ، بَلْ نَفْيَا لِكَوْنِهِ يَعْرِفُ بِمَعْرِفَةِ الْعُلُوِّ. وَذَلِكَ يَلِيْقُ بِمَا ذَكَرَهُ

هُوَ فِيْ مَعْرِفَةِ الْعُلُوِّ، فَإِنَّهُ قَصْرُ فِيْ بَيَانِهِ وَتَفْصِيْلُهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ نَحْنُ فِيْ مَعْرِفَةِ الْعُلُوِّ، فَإِنَّهُ مُفَصَّلَ تَفْصِيلًا مُفْهِمًا لِمَرَاتِبِ الْنُّزُوْلِ، وَالْعِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ.

ثُمَّ إِنَّ الْنُّزُوْلِ مَفْضُولٍ مَرْغُوْبٍ عَنْهُ، وَالْفَضِيْلَةَ لِلْعُلُوِّ عَلَىَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ وَدَلِيْلُهُ.